الباب الثامن

حقيقة المال ومنابع الثروات

قال الله سبحانه وتعالى:

﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴾[الإسراء: ٩٠-٩٣].

حقيقة المال ومنابع الثروات

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [غافر: ٦٤].

المال قوة.. فلا تظهر مروءة المرء إلا بالمال..

وما التبع والأعوان والحشم إلا للمال..

والمال المقصود ليس النقود !.. فإن النقود لا قيمة لها فى ذاتها.. وإنما قيمتها فى استعمالها.. وكيفية انفاقها..

وإنما المال الحقيقى هو عقل الإنسان وعمله !..

فإذا اعتقد الإنسان هذا فإنه يصير إلى الثراء أسرع بكل يسر واستمتاع..

يقول (روبرت كايوزاكى) معلنا هذه الحقيقة:

«إن أعظم أصولنا[٧٣] على الإطلاق هو العقل، فإن أحسن تدريبه، فسيمكنه تحصيل ثروة طائلة فيما يقارب طرفة العين». أهـ

وهذه الحقيقة أوضحها من قبل هذا بقرون الأديب الأريب (ابن المقفع)..

حين قال:

(٧٣) بحسب تعريف الأب الثرى لـ(روبرت كايوزاكي) فإن الأصول: هي الشيء الذي يأتي بالنقود لحصالتك.. وعكسها الخصوم: وهي الشيء الذي ينقص النقود من حصالتك.

«وليس يفرح العاقل بكثرة المال، ولا يحزنه قلته، ولكن ماله عقله وما قدَّم من صالح عمله». أهـ

وصرّح أيضًا بأنه:

«لا مال أفضل من العقل». أهـ

هذا بوضوح هو سر المال وحقيقته.. التي لا يعلمها أكثر الناس..

أما النقود فإن لها خاصية عجيبة.. وهي أنه كلما اعتقد الإنسان بأنها مالًا حقيقيًا.. كلما كدح وتعب في جمعها.. ومع هذا لا يصل إلى الثراء..

وذلك من مدهشات الأمور.. لأنه يظل خادمًا للمال الذي قام بجمعه.. وهذا فقر في حقيقة الأمر..

أما الثراء الحقيقي فهو أن تكون الثروة في خدمة صاحبها.. وهذا هو الغنى بمفهومه الحقيقي.. وهكذا فإن النقود بفهم الناس لها على أنها مالًا ليست مصدرًا للثراء.. وإنما الثراء هو مصدر الأموال..

هذا..

ومنابع الثراء في هذه الدنيا تكمن في أربعة أشياء هي:

النفس !.. ثم السماء، والأرض، والذهب !..

فالذهب هو العملة الوحيدة التي تصلح لكل العصور.. ولكل البلدان..

والذهب والفضة هما النقود المعتبرة شرعًا وعقلًا وعادةً..

وما عداهما لا يصلح أن يكون نقدًا[٧٤].

(٧٤) وهذا ما وضحه أوضح بيان الإمام الخطيب العالم المؤرخ الفذ (المقريزي) – رحمه الله تعالى

ورجوع الناس إلى هذه الحقيقة فيه سعادتهم وراحتهم..

وفيه من صلاح الأمور واتساع الأحوال ووفرة النعم وزيادة الرفه ما لا حد له..

أما الأرض.. ففيها الطعام والشراب والكساء والمأوى..

والذهب والأرض هما مفتاحا الحرية الاقتصادية..

على المستوى الفردي.. والمستوى الدولي..

أما السماء ففيها الأرزاق.. وهذه درجة أرقى من الذهب والأرض.. وألطف.. لأنها بابٌ إلى الخيرات والبركات والنعم والعلوم والفيوضات والرحمات والتفضلات..

وهذا البحث ينفرد عن غيره في أنه يوضح كيفية التعامل مع السماء كمنبع هام من منابع الثراء..

وكمصدر الرزق لجميع المخلوقات..

في حين أن أغلب الكتب الأجنبية التي تحدثت عن الثروة والثراء[٧٥] لم تتطرق إلى هذا الجانب..

وطيَّب ثراه – في رسالته الفريدة (إغاثة الأمة بكشف الغمة)، وهي رسالة فذة بكل المقاييس ألهمت أساتذة الاقتصاد العالمي في الشرق والغرب، وكانت فتحًا جديدًا في الحياة الاقتصادية، وأسهمت في وضع أسس (النظرية الكمية في النقد)، تلك النظرية التي أخذ بها كثير من العلماء، وتناقلوها جيلًا بعد جيل، وأدخلوا عليها جملة من التحسينات والإضافات، حتى انتهت إلى الشكل الذي صاغها فيه العالم (إرفنج فيشر) عام ١٩١١م.

(٧٥) وهي كتب قيمة، أرشحها لكم لقرائتها والاستمتاع بما فيها، كما قرأتها واستمتعت بمعلوماتها: كتاب (الأب الغني والأب الفقير) تأليف (روبرت كايوزاكي)، كتاب (أسرار عقل المليونير) تأليف (تي هارف إيكر)، كتاب (قواعد الثروة) تأليف (ريتشارد تمبلر)، وكتاب (الحكمة من وارين بافيت) تأليف (ماري بافيت) و(ديفيد كلارك)، وكتاب (أستطيع أن أجعلك غنيًا) تأليف (بول ماكينا).

جانب الرزق..

رغم أنه أوسع جوانب الغنى والثراء وأكثرها شمولًا..

وإنما تركز فقط على قدرات العقل في جعل المال يتدفق إلى حياتك !

وكذلك فإن معظم الكتب العربية التي تتحدث عن الرزق لا تتطرق إلى كيفية تحصيل الثراء والثروة(٧٦).

وإنما تركز على الصبر على قلة الرزق ، وكأنما الأصل في الأمر هو قلة الأرزاق ! ..

وكلا المدرستين، العربية والأجنبية، ناقص .. ويحتاجان إلى أن يترابطا ويتكاملا .. ذلك..

والنفس هي أعظم منابع الثراء التي وهبها الله للإنسان.. لأن حسن تفاعل النفس مع المنابع الثلاثة الأخرى هو الذي يحقق أقصى درجات الثراء..

وقديماً قال أئمة وعلماء العرب:

«النفس إذا قويت انفعلت لإرادتها الأشياء» ..

ولهذا جاء أطول قَسَم في القرآن الكريم ليؤكد على هذه الحقائق الخالدة..

ويبرز ما تحويه من لطائف باهرة..

فيُقسِمُ اللهُ سبحانه قائلًا:

﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ۝٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ۝٨ قَدۡ أَفۡلَحَ

(٧٦) للقارىء الكريم أن يطالع الكتب المصنفة في هذا الموضوع (الرزق) وهي كثيرة، وكما قال الإمام (ابن الجوزي) رحمه الله: «لا يخلو كتاب من فائدة».

﴿مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ١-١٠].

ولعل هذه الآيات الكريمات الباهرات قد أشارت إلى الزمن وإلى منابع الثراء..

وربطت بينهم في سياقٍ واحدٍ..

وهذا أشد ما يكون ارتباطًا بالرزق كما سبق أن أوضحنا..

ولنا هنا وقفة تأمل وتدبر..

فإن الله سبحانه يُقسِمُ بالسماء ثم بالأرض ثم بالنفس..

وهذا الترتيب البديع والتتابع الفريد يلفت النظر.. ويثير الفِكَر..

لأننا نجد هذا المجموع الثلاثي بين السماء والأرض والنفس يتكرر في قوله تعالى:

﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٢١ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٠-٢٢].

المتدبر لقول الله سبحانه سيعلم يقينًا أن النفس هي الجسر الذي يربط بين آيات الأرض.. ورزق السماء..

وأن من زكَّى نفسه سيفلح بكل تأكيد في استعمال آيات الله في الأرض..

ليستمتع برزقه الذي في السماء..

وهذه علاقة مدهشة..

وترابط مثير..

﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات: ٢٣].

﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ﴾ [غافر: ٨١].

ولا ينكر آيات الله إلا من لا يتفكر..

قال الله سبحانه وتعالى وهو أعلم بخلقه:

﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الجاثية: ١٣].

والتفكير من أهم خصائص العقل..

التي يجب تنميتها واستعمالها للوصول إلى تناول الخيرات..

هذا..

وتفاعل النفس الإنسانية مع هذه المنابع الثلاثة هو الذي يحدد ثراء المرء..

واستخدام العقل بصورة صحيحة هو سبيل الإنسان ليتفاعل معهم على أحسن صورة..

فالعقل - بإذن الله - هو الذي يُحرِزُ الحظ..

وينفي الفاقة..

لأن العقل هو أعظم ثروة يمتلكها الإنسان..

وهو سبيل السعادة في الدنيا والآخرة..

والمتعة كل المتعة في حسن استخدام العقل ليتفاعل بأفضل طريقة مع منابع الثراء..

وختامًا..

قد وضعت بتوفيق الله وفضله في هذا الكتاب أسرارًا فاعمل بها..

واغتنمها..

ففيها عونٌ على عِمارة النفوس وجلاء أبصارها..

وإحياءٌ للتفكير وإقامة للتدبير..

ودليل على محامد الأمور ومكارم الأخلاق..

وسعة الرزق والغنى في الدنيا..

والآخرة..

إن شاء الله..

والحمد لله رب العالمين..

خلاصة الباب:

قد ينفق المرءُ سنوات طويلة من عمره، يجمع فيها النقود، وينميها، ويدخرها، وهو يظن أنه بذلك قد حقق مفهوم الثراء والغنى، وأنه قد كوَّن ثروة تكفل له الأمان والسعادة، فإذا ما نقصت تلك النقود، أو حدث شيء منعه من الاستمرار في تحصيل النقود، وجمعها إلى بعضها، أو زال عنه كل ما جمعه، آل حاله إلى الفقر، وأصبح خالي الوفاض.. وما ذلك إلا لأنه لم يعرف المعنى الحقيقي للمال، ولم يعرف منابع الثراء والثروات، ولا كيفية التعامل معها.. فالمال الحقيقي ليس تلك النقود، وإنما هو عقل الإنسان وعمله الصالح.. هذا المال الحقيقي هو الذي يكفل تدفق الخيرات – بما فيها النقود – إلى المرء مدى الحياة.. وكلما زاد إنفاقه منهما – العقل والعمل – كلما زاد غناه.. أما منابع الثروات فهى أربعة ٤ أشياء: السماء والأرض والذهب والنفس.. فمن عرف هذه المنابع، وأحسن استخدامها، والتفاعل معها، حقق الثراء الذي ينشده..

الثراء الحقيقي..